قضيب البان الموصلي
(حياته ، شيخوه ، كراماته)

م.د. ادريس سليمان محمد
جامعة الموصل / مركز دراسات الموصل

ملخص البحث :

تضمن البحث دراسة لشخصية الشيخ قضيب البان لكون يحمل في طيات سجل حياته ومفرداتها اكثر من شخصية ولهذا كان هدف البحث هو معرفة الشخصية التي اعطت لهذا الاسم (قضيب البان) اللمعان والبروز كشخصية صوفية معروفة لدى اكثر الناس من اهل الموصل .

وتبين لنا من خلال البحث والتقصي ان قضيب البان لقب متعدد لقب به اكثر من واحد من هؤلاء ، وهذا كان سبب ارتباك المعلومات التي وصلتنا عنه من بعض المؤرخين ربما لجهلهم بان هناك غير واحد يحمل هذا اللقب ، مما ادى الى التداخل احيانا في صفات واسماء واقوال هذه الشخصيات ، وتم بعد الدراسة والبحث التوصل الى حقيقة الشخصية الصوفية لقضيب البان صاحب الضريح المعروف والمشهد الذي يزار من قبل اهل الموصل الواقعة غرب مدينة الموصل حاليا المتوفي سنة 570هـ / 1174 م .

Qadheeb et Ban Al-Mousili
His Life , Sheikhs , and Miracles

Dr. Edreas Solaeman Mohammed
University of Mousle-Center Mousle Studies

Abstract:

The present study aims at studying the main characteristics of Qadheeb el ban as a sofi personality known by the people of Mosul .

It is found that Qadheeb el Ban is a nickname given to a number of peoples a case which leads to a considerable interference and entanglement of information . It is also found that Qadheeb el Ban who tomb has been situated at Bab Sinjar west of Mosul is the Sofi personality who died in 570 A.H / 1173 A.C .

المقدمــة:

اسم قضيب البان يحمل في طيات سجل حياته ومفرداتها اكثر من شخصية ، وكان دافعي هو البحث عن الشخصية التي اعطت لهذا الاسم (قضيب البان) اللمعان والبروز كشخصية صوفية معروفة لدى عامة الناس من اهل الموصل ، في الوقت نفسه ولتوضيح ما اصاب الناس من الحيرة حول ما هية هذه الشخصية سواء من عامتهم بل وحتى من قبل مشايخ عصره لقولهم : (اي انما حال السيد قضيب البان من وراء العقول)[1] .

فلا غرابة اذا قرأنا في هذا البحث ونحن نضع امامنا هذه المقولة . اموراً تتعلق بكرامات اكرم الله عز وجل بها عبده (قضيب البان) قد يفوق تصور العقل البشري ، وهذه هي الكرامة التي تمنح للاولياء وتكون دائما امراً خارقاً للعادة من قبل شخص ، ويجب ان تكون مقرونة بالايمان والعمل الصالح ، والا اصبحت استدراجاً . والكرامة تكريم رباني لعباده الصالحين كما كرم انبياءه بالمعجزة والتي هي ايضا (المعجزة) امر خارق للعادة ولكنها مقرونة بالتحدي وبدعوى النبوة قصد بها اظهار صدق من ادعى انه رسول من الله[2].

وامر الكرامة وما يتعلق بها موضح لدينا بشكل مفصل في كتاب الله العزيز في سورة الكهف في الحوار الذي دار بين سيدنا موسى والخضر عليهما السلام وكيف وصف تعالى عبده بقوله (عبداً من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)[3] ، فاصبح علمه من علم الله وبالتاكيد من كان امره من الله يكون فعله ايضا بامر الله وما كان بامر الله يكون مفعولا . وقد يكون ظاهر هذا الامر احيانا غير مقبول كما حصل ولهذا اظهر نبي الله موسى اعتراضا لما راه من هذا العبد (الخضر عليه السلام) . ولكن حاول هذا العبد اقناعه وتوضيح ما يراه وسبب اعتراضه له بقوله (انك لن تستطيع معي صبراً ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) هذا هو جوهر النقاش وما نود توضيحه من خلال شخية قضيب البان ، ولا يفوتني ان اذكر القارئ بقوله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله)[4] صدق الله العظيم .

2. حياته ونسبه :

ظهر لدينا نتيجة البحث والتقصي ان قضيب البان لقّب متعدد ، لقب به اكثر من واحد من هؤلاء ، وهذا كان سبب ارتباك المعلومات التي وصلتنا عنه من بعض المؤرخين ، ولما كان لهذه الالقاب التي لقب بها اكثر من واحد، قد جعل بعضا من المؤرخين يقعون في اللبس، ولعل ذلك يعود ربما لجهلهم بان هناك غير واحد يحمل هذا اللقب ، مما ادى الى التداخل احيانا في صفات واسماء واقوال هذه الشخصيات ، واحيانا اخرى نجد تطابقا بين اوصاف قضيب البان مع اختلاف في اسمه ونسبه لذا سنستعرض بعض الذي ذهب اليه المؤرخون .

ذكر ان قضيب البان هو ابو عبدالله الحسين بن ابي القاسم بن الحسين المعروف بقضيب البان من اهل الموصل له كرامات تحكى عنه مشهورة يتداولها الناس تنافي العقل والشرع [5] . في حين يذكر ابن الفوطي ان قضيب البان هو ابو علي عمر بن محمد الكردي الموصلي الزاهد الذي كان من العارفين المجذوبين الذين يتكلمون عن الخواطر كان طويل القامة، عريض اللحية قليلا ، كان يمشي في الاسواق ولا يتكلم ، عليه جبة صوف ، دائم الاطراق إلى الارض كأنه اعمى وليس بأعمى [6] . ولقد قدم لنا محقق كتاب تاريخ اربل ملاحظة جديرة بالاشارة وهي ان هناك تطابق بين اوصاف قضيب البان المذكور عند ابن المستوفي مع ما هو مذكور عند ابن الفوطي [7] . في حين لم نجد التطابق في اسمه وكنيته سوى انه من اهل الموصل .

في حين ان قضيب المعروف لدى اهل الموصل بوصفه شخصية صوفية وصاحب المذهب الحنبلي ابو عبد الله الحسين بن عيسى بن ابي ربيعة يحيى بن علي بن عبد الله ابن ابي جعفر محمد بن عبد الله الاكبر بن محمد الاكبر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الامام علي﴿رضي الله عنه﴾[8] . المولود في شهر رجب سنة (471هـ / 1078م) وان نسبه يتصل بالامام الحسن بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنهما) وهذا ما يؤكد بانه كان غريبا متصوفا حنبلي المذهب لا يعرف الا بقضيب البان لجماله وجلاله وحسن مظهره [9] ، حفظ القرآن منذ صغره واحسن علم القراءة والتجويد والعربية وتفقهه على مذهب الامام احمد بن حنبل [10] .

توفي والد الشيخ قضيب البان سنة (483هـ/1090م) وعمره اثنتا عشرة سنة فضمه اليه عمه الشريف عبد الله بن يحيى الموصلي واحسن تربيته ، كان ابو الشيخ يكنى بابي ربيعة وجده بابي الخضر وكلهم افاضل [11] . عاش الشيخ ردحاً من الزمن في بغداد مع الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله وبعد موت الكيلاني رجع الى الموصل ثم سافر الى الشام واتصل بمشايخها وصالحيها ، ثم سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج وعاد الى الموصل ، ولزم داره وانقطع الى التدريس حتى وافاه الاجل سنة (573هـ/1177 م) بالموصل وعلى هذا يكون عمره قد تجاوز المائة عام [12] ، وقيل انه رحمه الله توفي حوالي سنة (570هـ/1174م) تقريبا [13] .

وقبر الشيخ قضيب البان بالموصل ويزار من قبل محبيه ، والقبر في غرفه مجاورة للمسجد ، والمشهد خارج السور غربي مدينة الموصل حاليا في منطقة باب سنجار والى جانبه مقبرة دفن فيها كثير من رجال الله الصالحين ، وادباء الموصل وعلمائها وفضلائها منهم الشيخ معافى بن عمران والشيخ السراج المقري وقبر الشيخ ابي بكر الهروي ، وقبر الشيخ فتح الكاري والشيخ فتحي الموصلي وقبر المؤرخ ابن الاثير وغيرهم [14] . وكان للشيخ قضيب البان رباط

شيد من قبله ظاهر المدينة خارج باب سنجار مجاور مقبرة المعافى بن عمران الموصلي . وبعد وفاته دفن في رباطه هذا [15] .

اخذ الشيخ قضيب البان نفسه بالمجاهدات واكثر السياحة فأتصل بالمشايخ والصالحين واخذ عنهم الكثير[16]. وتزوج ابنة الشيخ عبد القادر الكيلاني [17] ، وبعد وفاتها تزوج اختها ، ولهذا عدّ بعضهم القبرين الموجودين الى جانب قبر الشيخ قضيب البان هما قبرا زوجتيه [18]. وكان الشيخ البان جليل القدر جميلا حسن الشكل ولذلك سموه قضيب البان ، وغلب عليه المشيخة فقيل الشيخ قضيب البان [19] . لانه سار على نهج شيوخه الذين تتلمذ على ايديهم او عاصرهم .

3. شيوخه وعلاقاته :

لقد لقي الشيخ قضيب البان رعاية وتوجيها جيدين من قبل والده وكذلك من عمه وهو صغير ، حيث تعلم القرآن وحفظه وهو ابن تسع سنين واحسن علم القرآءة والتجويد والنحو وشيئا من فقه الامام احمد بن حنبل ، فاخذ الحديث والفقه عن الشيخ ابي الحسن علي بن ادريس وغيره[20] . ولم يكتفي بهذا بل وتتلمذ لمشايخ اخرين من خلال تردده وزيارته لهم وكلهم كانوا من كبار المشايخ والصالحين ، حيث كان يتردد الى زيارة الشيخ حياة بن قيس الحراني[21] ، وعنه اخذ علم التصوف وكان الشيخ الحراني يحبه محبة عظيمة . واتصل بالشيخ عدي بن مسافر الاموي الهكاري[22] . حيث رحل الى جبل لالش وصلى اماما بالشيخ عدي بن مسافر، واخذ الشيخ قضيب البان عن الشيخ مسافر الطريقة العدوية والبسه الخرقة[23] .

ولما استدعى الشيخ عبد القادر الكيلاني قضيب البان الى بغداد سافر اليه بعد ان استأذن (الشيخ عدي بن مسافر) ولازم قضيب البان الشيخ الكيلاني عشرين سنة ، حتى حصل على اجازة بالطريقة القادرية والبسه الخرقة ، وبذلك اصبح الشيخ قضيب قد اجيز بطريقتي العدوية والقادرية المعروفتين انذاك وعندما كان يحل ضيفا عند الشيخ الجيلاني كان يقدمه اماما ليصلي معا كما كان يفعل ذلك معه الشيخ عدي بن مسافر وهذا التكريم الذي مني به قضيب البان من الشيخين الكيلاني والعدوي له دلالة واضحة لما كان له من حسن سيرة والتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكذلك يؤيد هذا التكريم علو مكانته الروحية والعلمية لديهما ، ليس هذا فحسب بل وضع الشيخ ثقته الكبيرة لدى قضيب البان فزوجه ابنته ثم بعد وفاة الاولى زوجه بالثانية ثم اوصى ان يتولى الشيخ قضيب البان غسله بيده بعد وفاته وان يصلي صلاته [24] . فبعد وفاته غسله الشيخ البان والشيخ شهاب الدين السهروردي حسب الوصية ونزل في قبره الشيخ قضيب البان قبل دفن الكيلاني رحمه الله [25] .

كان الشيخ قضيب البان رجلا معروفا في زمانه بكراماته الظاهرة وكان يشهد بذلك مشايخ عصره وينبهون على فضله وكراماته [26] . حتى ان قسما منهم قام بخدمته ، حيث ان الشيخ ابا عبد الله القرشي [27] . وكما يقول هو انه خدم الشيخ البان في الموصل ردحا طويلا من الزمن [28] . وكان الشيخ ابو الحسن علي بن الصباغ كثير الجلوس عند الشيخ قضيب البان، واما الشيخ ابو الحسن علي الفريثي كان على اتصال مع الشيخ البان وكان يتردد لزاويته (رباطه) ولهذا شاهد منه كرامات مذهلة نذكرها في كرامات الشيخ قضيب البان[29]. وكان ابو محمد عبد الله الماريديني دائم التتبع لقضيب البان للتأكد من احواله ومدى صحة ما نقل عن كراماته ، من خلال المراقبة والمتابعة الدائمين تيقن وثبت لديه وبأم عينه عن كل ما ورد له عن الشيخ البان انه من الذين انعم الله عليهم بالكرامات الخارقة [30] .

اصبح الشيخ قضيب البان ولاسيما بعد ان ذيع صيطه على محك مع الناس ، حيث قصده الناس من كل مكان للاستفادة من علمه وللتبرك به واصبح له مكانة كبيرة لدى السلطة العباسية لسلوكه وحسن اخلاقه وتقواه وزهده [31] . حتى يذكر ان قاضي الموصل قرر يوما ان يكلم السلطات لاخراجه من الموصل لسوء ظن هذا القاضي به ، ولكن بعد ما رأى من الشيخ قضيب البان من كرامات جعله يستسلم ويغير رأيه به ويتوب على يديه ويحسن الظن به [32] .

لقد نال الشيخ قضيب البان احترام عامة الناس ، فما ان كان يراه احد الا قام له واكب على يديه يقبلها احتراما واجلالا له لعلمه واخلاقه وزهده، وكان مهاب الجانب لا يصرف رائيه نظره عنه حتى يغيب عنه وهذه محبة يلقيها الله لعباده الصالحين فيأمر الناس بمحبتهم . وكان جواداً شهما سهل الجانب ، لين العريكة، كثير العطاء، اذ انه كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر[33] وهذا هو شان المؤمنين بان الله هو المغني وبيده مقاليد الامور وحده جلا علاه.

4. كراماته :

للشيخ قضيب البان الموصلي كرامات كثيرة خارقة للعادة وهي من متطلبات الكرامة لان الكرامة يجب ان تكون خارقة للعادة ولكنها مقرونه بالايمان والعمل الصالح لفاعلها والا اصبح استداراجا وشعوذه ، وبما ان ابن البان رجل مشهود له بالصلاح والايمان الصحيح فاعتبر ما ظهر لديه من اعمال خارقة للعادة كرامة اكرمه الله بها . ولا يمكن ان نحيط او نذكر كل ما جرى على يديه من كرامات بل نقتصر بالاستشهاد على بعض منها :

يقول ابو محمد عبد الله الماريديني انه ذات يوما ذكر قضيب البان في مجلس عند كمال الدين بن يونس في مدرسته [34] . فوقعوا فيه ووافقهم ابن يونس ، فبينما هم يفتابونة اذ دخل عليهم الشيخ قضيب البان ، فبهتوا فقال لابن يونس هل تعلم علم الله كله ؟ قال لا : فقال ان كنت انا من علم الله الذي لا تعلمه ، فسكت ابن يونس ولم يفتح فاه ولو بكلمة ، فيقول الماريديني

على اثر ذلك ما ان خرج الشيخ قضيب البان من عند ابن يونس حتى قمت اتابعه لانه كان من ضمن الجالسين مع ابن يونس ، وهو يريد ان يطلع على احوال الشيخ البان ، فيقول راقبته الى الليل حتى اتى باب الموصل وهو مغلق فانفتح له وخرج ، والمارديني خلفه وسارحتى انتهى الى نهر فاغتسل فيه وصلى الفجر هناك وغلب النوم على المارديني وهو يراقبه حتى ايقظه حرّ الشمس ، فوجد نفسه في صحراء مقفره وحيداً ، فمر به ركب فسألهم عن الموصل فقالوا له بينك وبين الموصل مسير عدة شهور ، فنصحوه ان يمكث مكانه لعله يعود ثانية فيعود مع الشيخ قضيب البان الليلة الثانية حضر في المكان نفسه فتبعه المارديني فيقول لم نلبث الا يسيرا حتى وصلنا الموصل فالتفت اليّ الشيخ وقال اياك وان تعود لمثل هذا العمل مرة اخرى واياك وافشاء السر [35] .

ومن كراماته انه لقي يوما محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصلي صاحب التصانيف والفنون الكثيرة الملقب بالعماد (ت 608هـ / 1211 م) حيث انه كان مصابا بوسوسه في التطهر (الطهارة) فلما لقيه قضيب البان ، قال له بلغني عنك انك تسرف في صرف الماء لغسل اعضائك ، فلم لم تغسل اللقمة التي تأكلها ليتطهر قلبك وباطنك ، ففهم الفقيه محمد بن يونس ما يريد قوله ، فترك الوسوسة تلك واخذ يتحرى الحلال في لقمة عيشه [36] ، هكذا هم الصالحون كما وصفهم الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ لا يشقى جلبسهم ولا يخلو من فائدة وبركة رؤيتهم فانهم ينيرون جالسيهم ويعلمونهم صفاء الروح والتقرب من الله بالعبادة الصادقة ودائم الخوف والرجاء منه تعالى وحده .

وكان قضيب البان رحمه الله من الموهوبين المكرمين من عند الله فاكرمه الله بسرعة البديهة وكذلك بنعمة هي ان المسافات كانت تطوى له ، فيذكر لنا احمد بن شجاع بن منعه انه سمع ابا بكر بن الحسين الكريدي يقول : لما دخلت الموصل احببت ان القى قضيب البان ، فمشيت فاذا هو امامي ، فقلت في نفسي قيل عنه انه يجيب عن أي آية سئل من القرآن ، فسالته لامتحنه ، فقلت يا ابا عبد الله يقول تعالى (ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد) [37] ، فاجاب وعلى الفور (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) [38] وهو الاية المعقبة لما ذكرته من نفس السورة فعجبت من ذلك [39] .

وقال الشيخ ابو البركات منحر بن صخر بن مسافر ابن اخ الشيخ عدي بن مسافر مكث الشيخ قضيب البان عندنا شهرا كاملا وفي احد الايام ونحن نصلي خلف امام المسجد فاذا بقضيب البان بعد ان اتم ركعة من صلاته قطع صلاته فبعدما انتهينا من الصلاة قلت له لم لم تتم صلاتك معنا قال : يا ابا البركات تعبت من عدوي خلف امامكم ، فانه احرم هنا ثم سافر

الى الشام ثم الى بغداد ثم الى مكة فلما جئنا الى العقبة العظمى فتعبت وتركته . قال ابو البركان سالت الامام عن ذلك فقال صدق والله كان ذلك وسواسي في صلاتي بهذا كله [40] .

ومن كرماته ايضا ان قاضي الموصل كان سيء الظن بقضيب البان في بداية امره فعزم ان يخبر السلطان باخراجه من الموصل ، وكان ذلك مجرد خاطر في نفسه لم يعلم بها احد ، وذات يوم رأي القاضي قضيب البان في بعض الازقة فتمنى القاضي لو كان معه احد للقبض عليه ، فاذا هو يخاطب نفسه ، فرأى تحول قضيب البان من هيئته الاعتيادية الى هيئة كردي ثم انتقل الى صورة جندي ثم الى صورة بدوي في اربع خطوات خطاها ، ثم قال للقاضي هذه اربع صور رأيتني بها ، فمن هو قضيب البان من هؤلاء حتى تخبر السلطات في اخراجه من الموصل . فلم يتمالك القاضي نفسه الا واكب على يديه وقدميه يقبلها واستغفر الله من ذلك الخاطر [41] .

وكان من كراماته المشهود بها ان رباطه (زاويته) اذا دخله احد وعليه جنابة (أي عليه غسل) احترقت ثيابه من غير نار . وكان يسمع من قبره قراءة القرآن في كل وقت وبخاصة سورة (يس) في ليلة الجمعة . وقال الشيخ ابن الفتح المقدسي كنت في سنجار مجاور الجامع النوري في سياحة وقد لحقني داء لا اقدر على المشي ولا استطيع الركوب واحببت الاجتماع بالشيخ قضيب البان ، فدخل علي ذات ليلة رجل فجلس الىّ وانسني ثم قال ان الفقير الى الله الذي طلبته من الله تعالى فاستجاب لدعوتك وارسلني اليك ثم دعا لي ومسح علي بدني فعوفيت بعد ان كنت مقعدا ، وفي الصباح اقبل على اهل البلد واخذوا يتبركون بي وبعدها تزوجت [42] . وكان هذا من بركات دعائه فشافاه الله . وهناك كثير من النصوص حول كراماته ولكن هذا غيض من فيض ويكفي في هذا المجال ما اوردناه من نبذ من كراماته .

5. من ابرز اقواله :

يمكن الاعتماد في كثير من الاحيان في تقييم توجه أي انسان ومعرفة سلوكه وحتى ما يدور في خلجات نفسه من خلال مجموعة اقواله لان من الناحية النفسية على العموم يعد السلوك اللغوي المتمثل بالكلام او زلات اللسان وهفوات القلم ، دلالات نفسية ، يمكن كما يرى رواد التحليل النفسي على وجه الخصوص ، من خلالها ان نسبر غور اعماق الشخصية الانسانية ، ومكونات لا وعيها وعقدها وكل ما يخصها ، وهذا ما نلمسه في القراءات والتحليلات النفسية بشكل عام ، ولهذا كله اعتمدنا ومن خلال استعراض بعض اقوال الشيخ قضيب البان التعبير عن بعض كوامنه وخلجاته وتوجهاته وهذه ناتجة عموما عن ترسبات البيئة المحيطة به ومعاناته منها وقد عبر باقواله وكتاباته عنها خير تعبير واكتفى هنا بذكر قسم من اقواله مع التعليق والتحليل قدر المستطاع لان المعنى الحقيقي يبقى في قلب قائله مهما حاولنا التقرب منه .

يقول الشيخ البان : (ان الله اذا البس احدا من خلقه ولايته وشرفه بقربه ، اطلعه على كنوز الارض شرقا وغربا ، وعرفه امر ما كان وما يكون ، وما هو كلئن) [43] . . نحن جميعا مؤمنون ايمانا مطلقا بان كل شيء بيد الله وهو المعطي وهو المانع لمن يشاء من عباده الذين يختارهم هو بارادته وكما وضحنا هذا الامر في مقدمة البحث ولكن في الوقت نفسه علينا التقيد بالمنهج وبالدستور الالهي وهو القرآن وسنة حبيبه محمد ﴿ﷺ﴾ . فيرشدنا الى ان الله هو عالم الغيب ولا يظهره على احد من خلقه الا من يرتضيه من الرسل لقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول .....) سورة الجن / اية 26،27 ومن خلال هاتين الايتين نجد ان هناك في قول الشيخ قضيب البان – ان صح ان القول قد ورد عنه – عمومية كبيرة وواسعة بقوله يعلمه امر ما كان وما يكون وما هو كائن فلم يبق شيئا ولا ننسى القول ان الله حدّد ان الغيب اذا اطلع من عباده يجب ان يكون من رسله الذين اختارهم . وهذا لا ينفي ابدا من ان الله يكرم بعض عباده بما يشاء من الكرامات اكراما لاستقامته وقربه وطاعته لله لقوله تعالى (اتقوا الله ويعلمكم الله) هنا ترك الامر مطلقا لكل من اتقى الله من خلقه يعلمه ما يشاء هو رب العالمين ، فلا نستغرب ابدا من تكريم رب العزة لمن كرمه بولايته بما يشاء من النعم ، وفضله على غيره من العباد بطاعته وشرف قربة منه تعالى وهو القادر على كل شيء .

ويؤكد لنا الشيخ البان صحة ما ذهبنا اليه حينما يحثنا على ان بلوغ رضا الله لا يكون الا بمخالفة هوى النفس ولا يتم هذا الا بالمجاهدة للنفس والتي وصفها الرسول بالمهاجر حينما قال عليه الصلاة والسلام (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[44] . وهو جهاد النفس وكبح شهواتها ، واضاف الشيخ البان على ضرورة ملازمة مخالفة الهوى وجهاد النفس مع التقوى ، والتقوى كما عرفها لنا الامام علي ﴿رضي الله عنه﴾ هو الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل ، فاذا توفر هذان الشرطان وهما الجهاد بمخالفة الهوى والتقوى نال العبد رضا الله في الدنيا والاخرة وحتى ربما يكافأ على ذلك في الدنيا ، على تقواه ومخالفته لشهوات نفسه ، لهذا كله قال الشيخ قضيب البان يصف مسيرة جهاده بقوله : (خالفت الهوى ، وركبت التقوى ، فاسكنت في الهوى) [45] .

يمكن ان نعد الشيخ قضيب البان في بعض اقواله صاحب منهج سلوكي وبامكان أي فرد في المجتمع اذا ما اراد النجاة والخلاص بنفسه والوقوف على شاطئ الامان عليه ان يسلك هذا المنهج لان البان يحث فيه على تصحيح البدايات أي ضرورة صحة اللبنة الاولى في كل عمل نريد ان نقوم به او نخطوه لان البداية الصحيحة لا تتأتى الا بتحكيم العقل السليم والتشاور . وعندها أي في البداية الصحيحة يكون الانسان قادراً على مواظبة النفس والمثابرة على ما يراه صحيحاً دون عناء بارادة واختيار تامين ، وهذا يتوافق تماما مع قول الرسول﴿ﷺ﴾ في حديث طويل يقول فيه (الحلال بين والحرام بين ... الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد

كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب) [46] . فاذا كانت اللبنة الاولى نابعة من قلب سليم وهي المضغة الصالحة صلح ما يصدر عنها .

ويوصي الشيخ البان ايضا في هذا المنهج السلوكي ويؤكد على ضرورة الامتثال لاوامر الرسول ﴿ﷺ﴾ وتطبيقه حرفيا ودون تردد ، عندها نكون كما يقول قد حكمنا سنته فينا. وهنا يجب ان نوضح امرا مهما فيه فائدة عظيمة وهو لماذا اكد الشيخ البان على ضرورة تحكيم الرسول (سنته) في حياتنا ، بكل تاكيد السبب هو للامتثال لا وامر الله لان الله عز وجل ينفي الايمان عن كل من لم يحكمهم بقوله تعالى في سورة النساء الاية 64 (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ويجب ان يكون الامتثال والتحكيم دون حرج وتضايق أي الخضوع لهذه السنة طوعاً والتسليم دون اعتراض .

ولا يقتصر الامتثال في منهجه على سنة الرسول ﴿ﷺ﴾ بل ايضا يحثنا على امتثال احكام العلماء والمشايخ الربانيين لانهم ورثة الانبياء وعدم الاعتراض على ما جاءوا به لانها بالتاكيد هي توضيح لما جاء به الرسول وتسهيل امور الدين لتطبيقه من قبلنا . وبعد هذا الالتزام يضيف قائلا علينا ان نستحقر اعمالنا أي نصغرها في اعيننا وانفسنا خوفا من ان نعتمد عليها ونقف عندها وننسى الذي ينتظرنا من المواقف الصعبة ، الموت .. القبر عرصات يوم القيامة وكلها مراحل لابد من الوقوف عندها للمحاسبة فباستحقار العمل تشجيع الى العمل الاكثر والافضل لان فيه أي بالعمل الصالح المتواصل المخلص لوجه تعالى النجاة والخلاص . ويختم الشيخ قضيب البان قوله بانك اذا اردت التطلع الى عالم النهايات والخلاص منه أي الفوز به عليك بتحقيق البدايات واليك نص ما قاله الشيخ البان وتم التعليق علية : ((تصحيح البدايات هو انتقاء الرخصة لمواظبة النفس ، وتحكيم السنة بامتثال الامر ، وامتثال احكام المشايخ بعدم الاعتراض ، واستحقار العمل ، استشعار الاجل ، والتمسك بعروة الاخلاص للنجاة والخلاص.واعلم ان التطلع لعالم النهايات لا يصلح الا بتحقيق البدايات))[47]

الهوامش

(1) ابن الخياط ، احمد ، ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوجي ، مطبعة الجمهورية ، 1966 ، ص75 ، العمري ، محمد امين بن خير الله الخطيب ، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوجي ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ، 1968 ، 121/2 .

(2) الجرجاني ، ابي الحسن علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ص103 ، 121 .

(3) سورة الكهف ، اية /66 .

(4) سورة البقرة ، اية 282

(5) ابن المستوفي، شرف الدين ابي البركات المبارك بن احمد اللخمي الاربلي ، تاريخ اربل، تحقيق سامي بن السيد خماس الصقار ، دار الرشيد للنشر ، جمهورية العراق ، 1980 ، ق371/1 .

(6) ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق الشيباني الحنبلي ، تحقيق د. مصطفى جواد ، حقق عن نسخة المؤلف الفريدة في دار النشر الطاهرية ، بدمشق ، تلخيص مجمع الادب في معجم الالقاب ، 4 / 597-598 .

(7) ابم المستوفي ، المصدر السابق ، ق577/2 .

(8) العمري ، منهل الاولياء ، 117/2 .

(9) ابن المستوفي ، تاريخ اربل ، ق577/2 .

(10) العمري ، منهل الاولياء ، 117/2 . الديوجي ، سعيد ، مسجد الشيخ قضيب البان ، مجلة سومر ، 1952 ، ج1 ، م 99/8 .

(11) ابن الخياط ، ترجمة الاولياء ، ص70-72 .

(12) ابن الخياط ، المصدر نفسه ، ص71 . العمري ، منهل الاولياء ، 117/2-118 .

(13) ابن الوردي ، زين الدين عمر ، تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1969 ، ص122 . التادفي ، محمد بن يحيى التادفي الحنبلي ، قلائد الجواهر ، مطبعة منير ، بغداد ، ص120 .

(14) الهروي ، ابو الحسن علي بن ابي بكر . كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات .

(15) الديوجي ، الموصل في العهد الاتابكي ، 1958 ، ص158 . امين ، حسين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، 1965 ص391 .

(16) ابن المستوفي ، تاريخ اربل ، ق576/2 . التادفي ، قلائد الجواهر ، ص118 .

(17) ابن المستوفي ، المصدر السابق ، ق576/2 .

(18) العمري ، منهل الاولياء ، 117/2 . الديوجي ، مسجد الشيخ قضيب البان ، ج1 ، م106/8 .

(19) العمري ، منهل الاولياء ، 117/2 .

(20) ابن الخياط ، ترجمة الاولياء ، ص 72 . العمري ، منهل الاولياء ، 117/2 .

(21) وهو من اجلاء المشايخ وعظماء العارفين واعيان المحققين للمزيد عنه راجع قلائد الجواهر ، للتادفي ، ص115 –116 .

(22) الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الاموي الشامي الاصل والمولد الهكاري المسكن ، كان من اجل مشايخ بلاد المشرق واكبرهم قدراً ، وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني يثني عليه كثيراً للمزيد انظر قلائد الجواهر ، للتادفي ، ص85–94 .

(23) العمري، منهل الاولياء ، 118/2–119 . ابن الخياط ، ترجمة الاولياء ، ص72–73.

(24) الديوجي ، مسجد الشيخ قضيب البان ، ترجمة ، ج1 ، م99/8–100 .

(25) العمري ، منهل الاولياء ، 121/2 .

(26) التادفي ، قلائد الجوهر ، ص118 .

(27) الشيخ الصالح القدوة ابو عبد الله بن محمد بن احمد ابراهيم القرشي الهاشمي (544–599هـ) ، من اجلاء مشايخ مصر المشهورين وكبار العارفين ونبلاء المحققين صاحب الكرامات ، للتفاصيل انظر التادفي ، قلائد الجواهر ، ص123 . الزركلي ، الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1979 ، 319/5 .

(28) العمري ، منهل الاولياء ، 124/2 . ابن الخياط ، ترجمة الاولياء ، ص77 .

(29) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، 122/2 .

(30) ابن الوردي ، المصدر نفسه ، 122/2 . العمري ، منهل الاولياء ، 120/2 .

(31) العمري ، منهل الاولياء ، 119/2–120 .

(32) العمري ،منهل الاولياء ، 121/2 .

(33) ن . م ، 125/2 .

(34) هي المدرسة الكمالية (مدرسة ابن يونس) يعرف اليوم بجامع شيخ المشط .

(35) ابن الوردي ، تاريخ ، 122/2 ، التادفي ، قلائد الجواهر ، ص119 ، ابن الخياط ، ترجمة الالياء ، ص73–74 . والعمري ، منهل الاولياء ، 120/2 .

(36) سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابي المظفر يوسف ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ج8 ، ق959/2 ، ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر الدمشقي ، البداية والنهاية ، دار ابن كثير ، بيروت ، 62/13 .

(37) سورة الشورى / اية 26 .

(38) سورة الشورى / اية 27 .

(39) ابن المستوفي ، تاريخ اربل ، ق2 / 372 .

(40) التادفي ، قلائد الجواهر ، ص120 .

(41) العمري ، منهل الاولياء ، 121/2 . التادفي ، قلائد الجواهر ، ص120 .

(42) ابن الخياط ، ترجمة الا ولياء ، ص75-76 .

(43) ابن الخياط ، ترجمة الاولياء ، ص77 . العمري ، منهل الاولياء ، 124/2 .

(44) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي ، رقم الحديث (6003).

(45) ابن الخياط ، ترجمة الاولياء ، ص78 . العمري ، منهل الاولياء ، 127/2 .

(46) صحيح البخاري ، كتاب الايمان ، باب فضل لمن استبرأ دينه ، رقم الحديث (50) .

(47) التادفي ، قلائد الجواهر ، ص118-119 .